قصة

ابنة القاتل

للكاتب الفرنسي «م . جيرارديه»

ترجمة الآنسة نعمت حسني

البحر ثائر ، يدفع الى الصخور بجيش من الأمواج ، رهيب لا يتراءى اليه الخيال ووقفت هي في مكانها لا تتحرك ، قلقة تتوقع قيام العاصفة . وفتحت المنارة عينها ، يرسل نورها وسط الظلام .

إن التي وقفت في مكانها لا تتحرك . تلك هي امرأة أتت لاشعال المنارة . وقفت هناك في أعلى ، وقد عصبت شعرها بمنديل تثبته حول رأسها . وضمت الحرملة على صدرها وكان الهواء شديداً يحاول انتزاعها . ثم انعطفت تأخذ مصباحاً ، كان على الأرض بالقرب منها . وبينما هي تتأهب للنزول ، سمعت وقع خطوات .

وخرج من الظلام ، رجل بدت على مظهره المتوحش ، علامات السكر الشديد ، وكان يتمتم بكلمات مبهمة — ثم قال وعلى فمه ابتسامة بلهاء حائرة :

— هل أتممت العمل ؟ ... هذا حسن ...

ثم انفجر يضحك ضحكات جنونية ، دوت في ذلك المبنى الضيق ، وطغى صوتها على صوت الأمواج فقالت المرأة في حزن .

لو أني لا ألاحظ المنارة بنفسي ، لهلك الكثيرون من الملاحين . بينما أنت في الحانة تحتسي الخمر . فقال الرجل متلعثماً .

— أتؤنبينني لو كان هذا ما تقصدين . فاني أنهاك عن ملاحظة المنارة . . أسمعت . . . [illegible] ثائرة :

— أتجرؤ على التفوه بمثل هذا القول ؟ . . أنت انسان عديم النفع . . ولولا قيامي بعملك لكان نصيبك . . . في حكم المطرود . فنظر إليها الرجل بغضب . وصاح هي . . .

— أجل ، أنت انسان عديم النفع . . . سكير . . .

وما كادت تتم كلمتها ، حتى هجم عليها الرجل ، وقد أخذ من قبقابه الغليظ سلاحاً ، وجعل ينهال به على رأسها وعلى صدرها ، دون تبصر ، وعلى خاصرتيها

كان في استطاعتها ان تهرب من ذلك الرجل الذي أضاع صوابه الخمر .. ولكنه واقف أمام الباب المفتوح .. ولو دفعته بيد لاندفعت منه ، تتدهور في الفضاء ، ولقي حتفه على تلك الدرجات الحجرية .. لا ، إنها لن تفعل .. فهو زوجها ... وجعلت تدافع عن نفسها فقط .. فتحمي رأسها بذراعيها . وزاد الغيظ والحنق .. فضربها على ذراعها ضربة جعلته يسقط هامداً .. ثم لطمها على رأسها لطمة قوية .. سقطت على أثرها لا تتحرك ...

وبغتة ، ظهرت الابنة .. وهي فتاة في الثالثة عشرة من عمرها ! ... اتسعت عينا الطفلة ، ووقفت في مكانها جامدة ، وقد استولى عليها الرعب . أما هو فقد تزايد غضبه .. ورفع جثة المرأة ، ورمى بها على السلم .. وإذا بها تتدحرج على الدرج الحجري ، وتدحرجت معها الطفلة ! وكيف ذلك ؟ ... لقد رمت نفسها فوق جثة أمها ! ...

وردد الرجل ، تعتر الضحكة الجنونية .. وأفاق من سكره .. وأخذ رأسه بين يديه ، وجعل ينظر في الفضاء .. عبث ..

* * *

وانتشر الخبر ، ان زوجة « ليجوف » قد تدهورت من أعلى المنارة ، وماتت قضاء وقدراً . أما « آن — ماري » ابنته ، وهي الشاهد الوحيد .. فإنها لم تتح نفسها بكلمة من الحقيقة . وليس من أحد خطر بباله أن يسألها .. أو يتطرق الشك الى ذهنه ، إن المأساة فيها جريمة .

وشيعت المرأة المسكينة ، الى مقرها الاخير .. وبعد قليل من الزمن ، لم يعد أحد يتكلم عنها ، فقد طغى على ذكرها النسيان . ولكن هنالك من كان يذكرها : آن — ماري ، التي أضحى فؤادها الحزن ، وأصبحت شاحبة الوجه ، هادئة رزينة ، لا تفارقها ذكرى أمها — الشهيدة — والتي كانت تنظر الى أبيها — القاتل — بعينين تشتعلان غضباً وتهديداً .

لم تخش الفتاة أباها . ولكنها أقسمت أن تعاقبه حسبما يتراءى لها ... وفكرت : سوف لا توجه إليه خطاباً .. لا لا تنطق بكلمة البتة .. وكأن فيها عناد الأصل البريتوني .. فلم تحنث في قسمها .

كان الرجل يشتد به الغضب ، كلما وجد كلامه لا يلقى جواباً .. ولكن نظرة من الفتاة ، كان فيها من القوة ما يغني كلاماً يريد أن يفوه به ، ويجعله يتلاشى قبل أن يتحرك به لسانه . تلك هي نظرة تعيد الى الذاكرة مشهداً مروعاً !

وسط هذا العالم الخضم ، بدأ هذان المخلوقان حياة حزينة ، حيث لا يتبادلان حديثاً ، وحيث لا تنظر الفتاة الى أبيها . حقاً إنها لحياة كئيبة ، حتى ليخشى منها على الصواب . وكثيراً ماكان الرجل يخرج الى الطريق ، ويقف بالقرب من الأكواخ ، ليتسمع الى الأصوات الآدمية ! فإذا أقبل المساء ، توجه الى الحانة ، ليحتسي الخمر مع رفاقه . ويفكر فجأة في المنارة ، فيسير متعجلاً نحو الصخور بخطى متعثرة . ولكن آن — ماري ، تكون قد أشعلت المصباح . فيشكرها الأب . ولكنها تقابل شكره دوماً بالصمت . ذلك الصمت الذي فيه ما فيه من البغضاء والنفور .

* * *

ودخلت الفتاة في الثامنة عشرة من سني حياتها . وازدهر جمالها ، والتف حسنها ، وتحدث الجميع عن أدبها وكمالها . فتقدم إليها الكثيرون من شبان الحي . كل يقدم لها حياة [illegible] عوضاً من تلك التي تحياها . ولكنها رفضت الزواج : فالمنارة تنتظرها أن تلزم [illegible] أبيها . المنارة التي تقوم بدور الحارس ، على حياة الكثيرين في الظلام [illegible] . كانت تعلم أنها لو تركت امر المنارة لأبيها ، فسوف يبحث الملاحون عنا ، عن نجمهم الهادي . وسوف [illegible] ما لا تحمد عقباه . وتعلم [illegible] ، أن أباها سوف يطرد ، ويحرم [illegible] المتواضع . ولا يكون أمامه إلا الموت [illegible] وحيداً ! إنها لا تثمر حياله إلا البغض والتحقير ، لكنها لا ترضى له ذلك !!

[illegible] مساء ، وكانت الفتاة في [illegible] ، حيث المنارة . وكانت العاصفة [illegible] فأصابتها لفحة هواء . وهبطت الدرجات [illegible] الحجرية ، وقد سرت القشعريرة في [illegible] لازمها الفراش [illegible] ليلتها .

[illegible] الأسابيع والمرض [illegible] لا يتلطف ، بل يزداد حدة [illegible] على خاطرها أبو [illegible] فثارت ثائرة نفسها [illegible] ذن ، سوف لا تتذوق أي فرح [illegible] فراح الطبيب [illegible] يثبين لها [illegible] هي بعيدة عن الصواب [illegible] أما [illegible] كانت تنتظر الشفاء في [illegible] إنها تريد نصيبها في [illegible] في [illegible] .

[illegible] بها وطأة المرض [illegible] الفتاة لا تمشي إلا بصعوبة [illegible] ولكن ، عند [illegible] ذات [illegible] المساء ، قبل أن يعود [illegible] كانت تجر نفسها جراً ، الى [illegible] المنارة ثم [illegible] وقد وهنت قواها واضمحلت [illegible] الفتاة تنظر في الفضاء [illegible] وقد

لمحت عيناها في عياها الباهت . وأصبح الأب قلقاً يفكر طويلاً الى ذلك السر المغلق ، الذي أصر على الصمت في عناد .

* * *

كان يتردد على الفتاة بالزيارة ، بعض الجيران ، ممن عرفوا أمها فيما مضى . فكانت ترحب بهم .. وتكثر من سؤالهم عن كل ما يذكرون عن أمها . وعندها ، يتسمع القاتل الى صوت ابنته ، كما لو كان يتسمع الى موسيقى الشجية .. كان يود لو أنها تنسى بوداً وتبادله الكلام ! كان معذباً تعذيباً قاسياً . فقد كانت زوجته تتراءى له في كل ليلة .. تلومه وتعنفه على جريمته ، بصوت أعلى وأقوى من صوت الرياح والأمواج معها اشتدت . ... وانقلبت ... رجل ، شيئاً آخر .. وقد أخذ الإرشاد ... فيها انبثاق النور في الظلام . ورسخ في ذهنه أن القتيلة ، قد تكف عن تعذيبها ... أن الابنة تعفو عنه . ألا ليته يستطيع أن يظفر من ابنته بكلمة يطيب بها قلبه البائس ... كان يتوقع طوال ... ويتخيل الدار وقد أصبحت ... حزينة ! يا الله ! آه ... آن — ماري ! ... تتكلم .. يجب أن تقول له كلمة تمحو بها روحه من العذاب .

غير أن الفتاة ما زالت على اصرارها ... ومر الأيام ... في صدرها .. وظهر عليها الهزال ... وكانت تسهر عليها ... لها . ولشد ما كان الرعب يتملك آن — ماري ، عندما كانت تتخيل ، أنها قد تضطر الى مكالمة أبيها . لا .. إنها لا ترغب في نزع السلاح . كانت إذا تلاقت عيناها صدفة بنظرات أبيها الحزينة ، التي تلازمها دواماً ، فما أسرع أن تغض عنه عينيها .

* * *

وأخيراً ، ... أحست آن — ماري ، أن العمر يدور ... فطلبت ... لها ... وأن يصحبه طفل ... ودخلا ... لها صوت ... ازداد شحوب الفتاة عندما سمعت طفلاً ... صوت الزوجة المتحمسة !

واعترفت الفتاة ... ولكنها احتفظت بكذبتها ال... بلطيفة ، ولم تتهم قاتل أمها ولكنها ابنة القاتل ! وكيف تبوح ... ! إنه سر سوف تحفظ ... وديعة مقدسة ، لا تسلمها لغير ربها . إنه سر لا سلطان ... عليه البتة ... ولما ... الأب بعد ذلك الى حجرة ابنته ، فإنها ... اليه نظرة ... بوضوح ... لي ... شيئاً عن سرك » .

وظنّ الرجل ان ابنته ، قد هدأ في قلبها الحقد والكراهية . ظنّ أن هذه المائتة ، سوف تفتح له ذراعيها النحيلتين ، وتقطع الصمت . فركع بالقرب من سريرها :

كانت آن — ماري ، قد أنهكها الجهد الذي انفقته في الاعتراف ، فأقفلت أجفانها وضمت ذراعيها . فبدت وكأنها دخلت في راحتها الابدية . فأصابت الرجل قشعريرة مرت

ولكن الفتاة ما زالت تتنسم نسيم الحياة . وكان أبوها يرقب وجهها الناصع البياض. وفمها الذي يلفظ انفاساً ضعيفة قصيرة . وتمتم الأب قائلاً :

- آن — ماري ! اغفري لأبيك . كلّميه . أرجوكِ أتوسل اليكِ. قولي انك عفوت عني . ولما كانت تلزم الصمت ، فقد ألحّ الرجل قائلاً :

— لِمَ لا تقولين شيئاً ؟ قولي كلمة . كلمة واحدة . ليس هذا بالشيء الكثير ، كلمة تؤكد أن . . . انكِ قد نسيتِ جريمتي . انكِ هناك في أعلى ستضرعين من أجلي . آن — ماري ، أجيبي ! . . .

وينتظر لحظة . ولكن الفتاة لا تجيب ، وكأنها تهيم في عالم بعيد . فصاح الأب في جزع متوسلاً :

— آن — ماري ! ردّي على أبيك بنيتي . . . اني في كل حال ، لم أسىء اليك

ونهضت آن — ماري، على ذراعيها . وقد تبعثر شعرها . وحولت نحوه عينين ملؤهما الاشباح . فقد ارتفع الماضي بين ذلك الرجل الحائر الوهلان ، وبين تلك الفتاة التي يقتنصها الموت . ذلك الماضي الذي لا يمكن لها أن تنساه . وفهم الرجل ان ابنته قد أجرت العدل في عنائه وانه صريع انتقامها !

وبينما كان ينظر الى آن — ماري ، رأى نوراً عظيماً ، قد أضاء على وجهها . ثم وثبت الفتاة وثبتها الأخيرة، وقد افترّ ثغرها عن ابتسامة حزينة ، واغرورقت عيناها بالدموع . ومدّت ذراعيها نحو شبح غير منظور . ونطقت بتلك الكلمة الفريدة . أول كلمة تلعثم بها لسانها الصغير فيما مضى :

— أماه !

ثم هوت على فراشها ، وقد فارقت الحياة .

نعمت صدقي